



الخصائص الموضوعية والأسلوبية لـ(كلا) الرادعة في السورة المكية: دراسة بلاغية

Thematic and Stylistic Features of the Emphatic Particle Kallā in the Makkan Sūrahs: A Rhetorical Study

د. نورة وديد عطية العنزي

Dr. Noura Wadeed Atiyah Al-Otaibi

قسم اللغة العربية- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن (المملكة العربية السعودية)

nwalonezi@pnu.edu.sa

تاريخ النشر: 2025/09/10

تاريخ القبول: 2025/08/30

تاريخ الإيداع: 2025/08/08

ملخص:

قام البحث على دراسة الأداة (كلا) الرادعة، عن طريق وجودها في السور المكية، واستخلص خصائصها الموضوعية التي ذكرها علماء علوم القرآن الكريم، وتوصل بالتطبيق العملي إلى أن هذه الخصائص مطابقة تماماً لما نظره العلماء من خصائص موضوعية، ودرس أسباب وجود الأداة (كلا) في آيات الدراسة، واستخرج معانيها التي دار أكثرها حول التحقيق والردع والزجر، مبيناً وشارحاً أسباب وقوعها في إجابة سؤال لمنكر شاك متردد، أو منكر ويعلم تمام العلم بأن ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم هو الحق من عند الله، فناسب أن يأتي الردع والزجر بـ (كلا) موضحاً لحالهم وهو أشد ما يكون عليه المنكر، وهذا يعلل سبب وجودها مع السور المكية، ثم يأتي المبحث الثاني المهتم بالخصائص الأسلوبية التي حدد العلماء وهي موجودة حتى في السور المدنية، ولكنها موجودة بكثرة في السور المكية، وهنا، البلاغة، فكل قوم لهم خطاب يناسب أحوالهم، بحسب التصديق والتكذيب والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى حال السامع.

الكلمات المفتاحية: السور المكية، التصديق والتكذيب، خصائص الأسلوب، مقتضى الحال، البلاغة العربية.

Abstract

This study investigates the emphatic and deterrent particle kallā as it appears in the Makkan sūrahs of the Qur'ān. The research identifies its thematic characteristics as articulated by classical scholars of Qur'ānic sciences and, through textual analysis, confirms a complete alignment between these classical descriptions and the findings of the present study. The analysis explores the reasons for the occurrence of kallā in the selected verses and identifies its predominant meanings: affirmation, deterrence, and censure. The study explains that kallā frequently occurs in response to a question from a denier—whether a doubter in hesitation or one fully aware that the Prophet's (peace be upon him) message is the truth from God yet consciously rejects it. In such contexts, kallā serves as a powerful rhetorical device of rebuke, a fact that accounts for its prevalence in the Makkan sūrahs. The second part of the study examines the stylistic features of kallā, as classified by scholars. While these stylistic traits also appear in Madinan sūrahs, they are more abundant in the Makkan ones. This is attributed to the principle of rhetorical appropriateness (muqtadā al-hāl), whereby each audience is addressed in a manner corresponding to its specific state of belief or denial. In Arabic rhetorical theory, eloquence is defined as the conformity of speech to the listener's situational needs.

Keywords: Makkan sūrahs, affirmation and denial, stylistic features, rhetorical appropriateness, Arabic rhetoric.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي الرسول الأمين، وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فمما هو معروف ومقرر أن لكل مقام مقالاً، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وقد جاء القرآن الكريم مراعيّاً لهذه الناحية، ولعل من أوائل من فطن لهذا الأمر أبو عثمان الجاحظ إذ يقول:

"ورأينا الله - تبارك وتعالى - إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً، وزاد في الكلام (الجاحظ، د.ت، 1، 108).

وهذا في مجال الإيجاز والإطناب، ومراعاة مطابقتها لأحوال المخاطبين، والقرآن كله قائم على رعاية حال المخاطبين، فتارة يشتد في الخطاب، وتارة يلين، فيها لما يقتضيه حالهم سواء منهم مكيمهم أو مدنيهم، بدليل أنك تجد بين ثنايا السور الملكية والمدنية ما هو وعد ووعد، وتسامح وتشديد، وأخذ ورد، وإذا لوحظ أن أهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف، فذلك لما مردوا عليه من أذي الرسول وأصحابه، والكيد لهم حتى أخرجوهم من أوطانهم (الزرقاني، 1996: 1 / 198).

ولما ردع الله الكفار وزجرهم في القرآن بسبب كفرهم وعنادهم، جاء اختيار هذا الموضوع (الخصائص الموضوعية والأسلوبية ل (كلا) الرادعة في السور المكية .

لمعرفة مدى ملائمة خطاب القرآن المكي لأهل مكة، وتناسبه مع مقتضى حالهم موضوعاً وأسلوباً

وهنا تكمن البلاغة، فهي مطابقة الكلام لمقتضى حال المتكلم.

أهمية الموضوع.

تبرز أهمية هذا الموضوع من حيث دراسته لكل الظروف العامة التي أحاطت بنزول القرآن على قوم كافرين معاندين، "من هنا فإن هذا الموضوع يحتل أهمية كبيرة في دراسة بلاغة القرآن، لما يكشفه من توفر عميق لأصالة البلاغة ومراعاة مقتضى الحال، إلى جانب توفر عنصر آخر من سمات إعجاز القرآن، هو انعتافه من قيود الزمان والمكان، وانطلاقه من إطار البيئة الضيقة، ليخلق في علياء الموضوعية التي يخاطب بها الإنسان في كل زمان ومكان" (عتر، 1933، ص 55).

أسباب الدراسة.



وتعود أسباب الدراسة إلى أنه لا يوجد دراسة – على حد علمي – أفردت الحديث عن الخصائص الموضوعية والأسلوبية ل (كلا) الرادعة الزاجرة عن طريق وجودها في السور المكية فستتناول هذه الدراسة خصائص الخطاب المكي ل (كلا) الرادعة الزاجرة، موضوعاً وأسلوباً، لتخرج بنتائج عملية تطبيقية موضحة خصائص الخطاب المكي بلاغياً.

كما أن (كلا) الرادعة الزاجرة، جاءت محملة بالكثير من الخصائص الموضوعية للخطاب المكي، من دعوة إلى توحيد الله، ونبذ الشرك، وعبادة الأصنام، والإيمان باليوم الآخر والنشأة الأخرى، والحديث عن الجنة والنار، والدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق، وكذا الحال مع الخصائص الأسلوبية للخطاب المكي، فقد جاءت الآيات الواردة فيها أنموذج الدراسة – كلا -محملة بالكثير من الخصائص الأسلوبية ذات الطابع القوي الذي يناسب المجتمع الكافر المعاند الذي وردت فيه كأساليب التوكيد المتنوعة، ومن تنوع فواتح السور التي فيها التهديد والوعيد، والإيجاز الذي يخاطب أهل بلاغة، فتكفيهم الإشارة واللمحة، وهم كفار قريش، وكذلك الإطناب الذي يطيل عليهم في الإقناع من ذكر تشبيهات أو ذكر أمور من واقعهم المعاش لزيادة الحاجة وردع حججهم.

أو تكرر أسلوب القسم وهو نهج عربي يألّفونه ويستخدمونه في توكيد الأخبار، وكل ما سبق ما هو إلا مناسبة الكلام لمقتضى حال المخاطب، وهنا مكمن البلاغة.

منهج البحث.

ستطبق الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد إلى تحليل أهم وأبرز خصائص الردع والزجر في السور المكية الخاصة بالأداة – كلا – ومن ثم سيقوم بوصفها وتفسيرها ومعرفة مدى ملاءمة أسلوب القرآن الكريم مع مقتضى حال السامعين، وهم أهل مكة. كما ستتعرف الدراسة على أهم الظواهر الاجتماعية الشائعة في ذلك المجتمع الجاهلي سواءً أكانت ظواهر خاصة بالعقائد مثل: عبادة الأصنام، والشرك بالله، أو ظواهر تمس النواحي الأخلاقية مثل وأد البنات، والتباهي بالأحساب والأنساب والثراء، وغيرها كثير من ظواهر اجتماعية كانت شائعة في العصر المكي آنذاك. وستحلل أسباب ردع الله لهم وزجرهم عن تلك الظواهر السيئة، التي من شأنها أن توجد مجتمع ملآن بهذه الصفات، وكان القرآن ولا زال هو المؤدب للإنسان وراذعه عن كل خلق ردي لذلك استخدم القرآن هذه الأداة متمثلة بقوة ردعها وزجرها للإنسان عامة مسلماً كان أو كافراً، مركزاً على المجتمع الذي توجد فيه هذه الظواهر. وأكثر ما تواجدت فيه هذه الظواهر هو المجتمع المكي، لذا عالجت هذه الدراسة عبر المنهج الوصفي التحليلي أسباب وجود هذه الصفات ودرست مدى تأثيرها على ذلك المجتمع في ذلك الوقت. وبينت نتائج وآثار التمسك بها وما يلحق المسلم الذي أعلن إسلامه في ذلك المجتمع من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة عند عدم الالتزام بأخلاق الدين الجديد السليم الذي نزل عليهم، والذي أراد تأديبهم وردعهم عن كل خلق ذميم.



الدراسات السابقة.

هناك دراسات سابقة تناولت دراسة (كلا) في القرآن الكريم وهي على النحو الآتي:

- (كلا) في القرآن دراسة نحوية دلالية، عام 2013م.
- (كلا) في القرآن، منتدى مجمع اللغة.
- ما معنى (كلا) ملتقى أهل اللغة لعلوم اللغة العربية.
- ما معنى (كلا) المتكررة في القرآن، الموقع الرسمي لحמיד عبدالله، تاريخ 2014/05/12م.
- أسرار لفظ (كلا) في القرآن، صالح المغامسي.
- سلسلة محاضرات في الوقف على (كلا).
- ورود (كلا) في القرآن، ملتقى أهل التفسير.
- أسلوب الردع في القرآن الكريم، عبدالله أحمد حسين، 2001م.

ويظهر مما سبق اختلاف هذه الدراسة عما كُتب سابقاً، لتوظيف دراسة (كلا) في السور المكية خاصة، ودراسة كيفية الخطاب المكي والردع بهذه الأداة، فهي لن تقتصر على دراسة معاني (كلا) فحسب، وإنما ستوازن بين التنظير والتطبيق بحيث ستتذكر الخصائص الموضوعية للسور المكية، وتنظر هل تنطبق هذه الخصائص على الردع والزجر ب (كلا) على اعتبار وجود هذه الأداة في السور المكية؟ وكذلك ستعلل أسباب وجود الكثير من الخصائص الأسلوبية المناسبة لطبيعة المجتمع المكي الذي نزلت عليه السور المكية، وإن كانت هذه الخصائص الأسلوبية موجودة في السور المدنية أيضاً بعكس الخصائص الموضوعية التي قد اقتصت بالسور المكية فقط دون السور المدنية، إلا أنها -الخصائص الأسلوبية- متوافرة بشكل كبير في السور المكية، وهذا مفاده بأن الدراسة ستطبق التطبيق العملي لاستخلاص التناسب بينها وبين المجتمع المكي الذي خوطبت فيه عن طريق هذه الأساليب، وهنا تكمن البلاغة التي تطالب بمناسبة المقال لمقتضى حال المتكلم أو السامع، وقد قسمت الدراسة البحث إلى مبحثين، وهما: المبحث الأول الخصائص الموضوعية ل (كلا) الرادعة وفيه ثلاثة أنواع للردع، وهي: ردع الكافرين، وردع المؤمنين، ووصايا عامة للردع، والمبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية ل (كلا) الرادعة وفيه كذلك عدة أنواع من الخصائص الأسلوبية، وهي على النحو الآتي: قصر الآيات والسور المكية، التوكيد، القسم، الإكثار من ضرب الأمثلة والتشبيه من الواقع المعاش، ومن ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وبعد ذلك قائمة بمصادر ومراجع البحث.



التمهيد.

تعددت آراء العلماء في تحديد المراد بالمكي والمدني، فلهم في ذلك اصطلاحات ثلاثة، وهي:

- 1- أن المكي ما نزل قبل هجرة النبي صل الله عليه وسلم - إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بمكة، وهذا معتبر فيه الزمان.
- 2- أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة وضواحيها، وهذا معتبر فيه المكان.
- 3- أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وهذا معتبر فيه المخاطب (الفالح، محمد، المكي والمدني، 27).

والاصطلاح المختار، هو الاصطلاح الأول، وذلك للأسباب الآتية:

- 1- أنه اصطلاح مطرد لا يختلف (الزرقاني، 1996: 1/187).
- 2- أنه المفهوم من جميع الروايات التي عدت المكي والمدني (الفالح، 2012، ص 28).
- 3- أن المصطلحين الثاني والثالث لا يسلمان من الاعتراض، إذ يؤخذ عليهما عدم شمولها وحصرهما، فكم من الآيات التي لم تنزل في مكة، ولا في المدينة، ولا في ضواحيها، وكم من الآيات التي لم يرد فيها خطاب لأهل مكة، ولا لأهل المدينة، كآيات التي خاطبت النبي عليه الصلاة والسلام وحده، والآيات التي لم يرد فيها الخطاب لأحد من هؤلاء جميعاً، كآيات القصص والأخبار (الفالح، 2012، ص 28).

وسنتعرف على طابع كل منهما وخصائصه، وسنرى أن هذا الضابط قلما يختلف عند التطبيق.

فمن خصائص السور المكية:

- 1- أن كل سورة فيها سجدة فهي مكية السيوطي. (السيوطي، 1997: 1/29).
- 2- أن كل سورة فيها لفظ (كلا)، فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن (السيوطي، 1997: 1/29). وهذا هو موضوع البحث ونموذجه.
- 3- كل سورة فيها (يا أيها الناس)، وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا)، فهي مكية (الزركشي، د.ت: 1/189).
- 4- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة، فهي مكية، (الزركشي، د.ت: 1/29).
- 5- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية، أيضاً (الزركشي، د.ت، 1/189).
- 6- كل سورة تفتح بحروف التهجى ك(ألم)، و(الر)، ونحو ذلك فهي مكية (الزركشي، د.ت: 1/18).
- 7- وهذه الخصائص الست - إذا حفظ منها ما استثنى منها جانباً - علامات قطعية لا تختلف (الصالح، د.ت، ص 183).



وستقتصر هذه الدراسة على دراسة (كلا) الرادعة الزاجرة، فستدرس أيضاً معانيها الأخرى مع الردع والزجر، لأن الدراسة سلطت الضوء على معان أخرى لها من خلال الآيات الواردة فيها الموضوعية للآيات المكية التي وردت فيها

(كلا)، وكذلك سنسلط الضوء على الخصائص الأسلوبية لآيات الدراسة الواردة فيها (كلا)، بمعنى: ستطبق الدراسة التطبيق العملي الذي سيسلط الضوء على الخصائص الموضوعية والأسلوبية للآيات المكية، الواردة فيها (كلا) ويعلل أسباب وجودها موضوعياً وأسلوبياً، فمن المعلوم أن هناك موضوعات تقتصر عليها الآيات المكية دون المدنية، وكذا الحال مع الخصائص الأسلوبية للآيات المكية.

الخصائص الموضوعية وهي على النحو الآتي:

- 1- ردع الكافرين.
- 2- ردع المؤمنين.
- 3- وصايا عامة للردع.

المبحث الأول: الخصائص الموضوعية ل(كلا) الرادعة

سيعرض هذا المبحث الخصائص الموضوعية للخطاب المكي الخاص بالآيات الواردة فيها (كلا) الرادعة، وسيسلط الضوء على الموضوعات التي تناولتها آيات الدراسة دون غيرها من موضوعات أخرى، "لذا فالعلم بالمكي والمدني جدير بحق أن ينطلق العلماء لاستيفاء البحث عنه، والتعرف على خطواته الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف والتطلع إلى مدى تجاوبها مع البيئة العربية في مكة والمدنية، وفي البادية والحاضرة والوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشرّكين وأهل الكتاب" (الصالح، د.ت، ص 167).

ومما يجدر الإشارة إليه هنا، هو اقتصار هذا المبحث على دراسة الخصائص الموضوعية للآيات المكية الواردة فيها (كلا)، الرادعة الزاجرة التي زجرت مشركي مكة خاصة وردتهم عن الكثير من موضوعات رصدها الدراسة، من ذكر أهمية التوحيد، ونبذ الشرك، ومن الدعوة إلى عبادة الله، ومن تقرير صحة رسالة الرسول – صل الله عليه وسلم – ومن ذكر للبعث، ووجوب تصديقهم للنشأ الأخرى التي ينكرونها أشد الإنكار، بوجه عام، وإنما تعدى الردع إلى المؤمنين الذين لم يلتزموا بالآداب والفضائل الثابتة من التحلي بمكارم الأخلاق، بل وصل الردع إلى ردع النبي محمد – صل الله عليه وسلم – وبعض الأنبياء عندما يضيق بهم الحال ولا يحسنون التصرف في بعض الأمور، وهكذا فالردع لم يقتصر على المشركين فقط، وإنما وصل الأمر إلى الأنبياء والمؤمنين، حينما لا يحسنون



التصرف في بعض نواحي حياتهم، وهذا ليس بمستغرب على القرآن الكريم فهو المعلم الأول والمدرسة الأولى للناس عامة.

وقد قسمت الدراسة آيات الردع الموضوعية إلى:

- 1- ردع الكافرين وفيه مطلبان هما:
- 1-1- الشرك والدعوة إلى توحيد الله.

والآيات التي رصدتها الدراسة فيما يخص هذه الناحية هي قوله - تعالى - (قُلْ أَزُوقِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سبأ (27).

" ف (كلا) بمعنى: ليس الأمر كما زعمتم، وقيل: إن (كلا) رد لجوابهم المحذوف كأنه قال: أروني الذين ألحقتهم شركاء، قالوا هي: الأصنام، فقال: كلا أي: ليس له شركاء (بل الله العزيز الحكيم) " (القرطبي، د.ت، ص 13-14، ص 192).

ومن معاني (كلا) لردع الكافرين الذين أشركوا بالله قوله - تعالى - (يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى) المعارج (11). "ف(كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع الإنجاء، وضمير (إنها) للنار المدلول عليها بذكر العذاب".

(الألوسي، 2000، ص 29 - 30، ص 96). وعلى هذا يمكننا القول: إن (كلا) في الآيتين السابقتين قد ردعت المشركين عن عبادة الأصنام، وبينت لهم أن هذه العبادة لن تنجهم من العذاب يوم القيامة، بل هي السبب في عذابهم يوم القيامة

ومن ردع الكافر المعاند المغتر بأمواله وأولاده قوله - تعالى - (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) المدثر (11).

فقد روي أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صل الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا فيعطوك فإنك أتيت محمداً، لتصيب مما عنده، قال قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيهم قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال، وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلي



عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال ماهو إلا سحر يؤثر، فعجبوا بذلك (الألوسي، 2000، ص 29-30، ص 191).

" ف (كلا)، ردع وزجر له عن طمعه الفارغ، وقطع لرجائه الخائب، لأنه كان معانداً لآيات المنعم، وهي رسائل توحيده، والمعائد تناسب الإزالة وتمنع من الزيادة، قال مقاتل: مازال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقص من ماله وولده حتى مات " (الألوسي، 2000، ص 29-30، 190). ومنه قوله -تعالى- (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنِّ الْمَقْرُ، كَلَّا لَا وَزَرَ) القيامة (10).

تنفي (كلا) هنا ردع للكافر عن طلب المفر، وتمنيه (لا وزر)، وأوصله الجبل المنيع وقد كان مفراً في الغالب لفرار العرب، واشتقاقه من الوزر، وهو الثقل ثم شاع، وصار حقيقة لكل ملجأ من جبل أو حصن أو سلاح أو غير ذلك (الألوسي، 2000، ص 29-30، 2017).

ومن ردع المشركين قوله -تعالى- (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) سورة النبأ (1-5).

فالردع هنا لقريش، فقد روى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت قريش تجلس لما نزل القرآن، فتحدث فيما بينها، فمنهم المصدق ومنهم المكذب به، فنزلت (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ). وقيل: (عم) بمعنى فيم يتشدد المشركون ويختصمون (القرطبي، د.ت، ص 19-20-111).

والنبا هو: القرآن ودليله قوله - تعالى - (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) ، فالقرآن نبا وخبر وقصص، وهو نبا عظيم الشأن (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 111).

و(كلا) لردع الفجار ومن ذلك قول الله - تعالى - (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينِ) المطففين (7)، اختلفت الأقوال في معنى هذه الآية، ففي تفسير مقاتل قال: إن أعمال الفجار، وروى ناس عن ابن عباس قال: إن أرواح الفجار، وأعمالهم في سجين (القرطبي، د.ت، ص 19-20-169) و(سجين) هي صخرة تحت الأرض السابعة، تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 169).

ومعنى (كلا) " ردع وتنبيه، أي ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان، أو تكذيب بالآخرة، فليرتدعوا عن ذلك، فهي كلمة ردع وزجر " (القرطبي، د.ت، ص 19-20-168).

إذن: (كلا) هنا للردع والتأديب، وتنكر على هؤلاء تطفيفهم للكيل والميزان، حاثه لهم على الالتزام بالأخلاق الكريمة.



وفي السورة نفسها يقول - تعالى - (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) سورة المطففين (14-16).

ف (كلا) في أول الآية بمعنى الردع والزجر، أي ليس هو أساطير الأولين، وقال الحسن معناها: (حقاً ران على قلوبهم)

(القرطبي، د.ت، ص 19-20، 170).

و(كلا) في أول الآية الثانية بمعنى: حقاً أي "أنهم يعني الكفار، عند ربهم محجوبون يوم القيامة (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 170).

وقيل: (كلا) ردع وزجر، أي ليس كما يقولون. فعندما ردع الله مشركي مكة بتكذيبهم للقرآن الكريم، ونعتهم إياه ب (أساطير الأولين) أكد لهم رادعاً زاجراً ب (كلا) أكثر من مرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لهذه الأداة قوة تعبيرية لردع المنكر الشاك.

ومن معاني الردع قول الله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)، سورة الفجر (21).

فهي للردع الذي جاء عن طريق الوعيد تعليلاً للردع، والدك هو "كسر الحائط والجبل، ونحوهما، وتكريره للدلالة على الاستيعاب" (الألوسي، 2000، ص 29-30، 47).

بمعنى: دكت الأرض دكاً دكاً متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور وغيرها (الألوسي، 2000، ص 29-30، 479).

وتردع (كلا) أبا جهل في قول الله -تعالى- (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) سورة العلق (16).

والمعنى: لئن لم ينته أبو جهل عن أذى محمد لناخذنه بالناصية فلنذلنه (الألوسي، 2000، ص 29-30، 479).

وقيل: لناخذن بناصيته يوم القيامة، وتطوى مع قدميه، وي طرح في النار (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 84).

فالآية وإن كانت في أبي جهل فهي عظة للناس، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 47).

وتوعده الله بقوله (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) العلق (19)، ف(كلا) أي ليس الأمر على ما يظنه أبو جهل.



ومن ردع أبي جهل في الآية السابقة إلى ردع الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي -صل الله عليه وسلم- من ورائه ويقبح في وجهه، وقيل نزلت في أبي بن خلف، وقيل: في جميل بن عامر الثقفي، وقيل: إنها مرسلّة على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 125).

ويجوز أن يذكر الشئ العام، ويقصد به الخاص، سيما إن كانت هذه الصفة موجودة في كثير من الناس.

1-2: الدعوة إلى التصديق باليوم الآخر وعدم إنكار البعث.

والغالب على الآيات والصور المكية، ذكر البعث، والتذكير بحال منكري البعث.

وقد استقرأت الدراسة الآيات المتواجدة فيها أنموذج الدراسة -كلا- الرادعة لهم عن هذا الإنكار، موضحة أسبابه، وتنوعت مجادلة أصحابه، ففي سورة مريم، يقول - تعالى - (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) مريم (78)

فهذه الآية تفرغ على قوله (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ كَسُوفَ أَخْرَجَ حَيًّا) مريم (66)، والمناسبة: أن قائل هذا الكلام كان في غرور مثل الغرور الذي كان فيه أصحابه، وهو غرور إحالة البعث (ابن عاشور، د.ت، ص 16-17، 158).

وقوله (اطع الغيب) جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم يحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده عند البعث، فالاستفهام في قوله (اطع الغيب) إنكاري وتعجبي (ابن عاشور، د.ت، ص 16-17، 195).

و(كلا) حرف ردع وزجر، عن مضمون كلام سابق من متكلم والمعنى: لا يقع ما حكى عنه من زعمه ولا من غروره (ابن عاشور، د.ت، ص 16-17، 159).

وعطف قوله -تعالى- (وَإِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) في السورة نفسها على قوله (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ كَسُوفَ أَخْرَجَ حَيًّا) مريم (66).

و (كلا) هنا بمعنى: أي ليس الأمر كما ظنوا وتوهموا بل يكفرون بعبادتهم، أي ينكرون أنهم عبدوا الأصنام (القرطبي، د.ت، ص 11-12، 199).

ويقول الله -تعالى- مقولة المنكر حينما قال (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) المؤمنون (99). ف(كلا) هنا للردع عن طلب الرجعة، وإنكار واستبعاد عودته للحياة



حتى يعمل صالحاً، وقد كان منكراً للموت وما بعده. وفي سورة المعارج يقول -تعالى- (أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) (39).

ف(كلا) لردع الكفار عن طمعهم في دخول الجنة، ثم علل ذلك بقوله: (كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ)، وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنه قال: (كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء، في أين يطمعون في دخول الجنة ومنه قوله -تعالى- (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) المدثر (53)، و(كلا) هنا بمعنى: أي ليس يكون ذلك، وقيل حقاً، والأول أجود، لأنه رد لقولهم (بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)، "أي لا أعطيهم ما يتمنون، لأنهم لا يخافون الآخرة، اغتراراً بالدنيا" (القرطبي، د.ت، ص 29-30 58).

ومن معاني كلا أيضاً (حقاً): في قوله -تعالى- (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لِمَنْ زَاكِ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالتَّقَتَّى السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) القيامة (30).

أي حقاً إن المساق إلى الله ومن إنكار البعث قوله -تعالى- (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ) الانفطار (9)، ففي قوله (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) خطاب لمنكري البعث، قال ابن عباس: هنا: الوليد بن المغيرة، وقال عكرمة: أبي بن خلف، والمعنى: ما الذي غرك حتى كفرت؟ بربك الكريم، أي المتجاوز عنك (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 161).

2- ردع المؤمنين

ولا تقف (كلا) الرادعة الزاجرة عند زجر المكذبين والمعاندين، بل تردع المؤمن إن ظن بربه ظناً بعيداً عن اليقين الذي لا بد أن يملأ قلبه، وإن كان الذي يراه مستحيلاً، فمنه قوله -تعالى- (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) الشعراء (14-15).

الآية على لسان موسى -عليه السلام-. والمراد بالذنب "قتله القبطي"، وقيل: كان خباز فرعون واسمه قانون يعني: لهم على تبعه ذنب، وهي قود ذلك القتل، فأخاف أن يقتلوني به، فحذف المضاف أو سمي تبعه الذنب ذنباً. كما سمي جزاء السيئة سيئة " (الزمخشري، 2003: 4/ 828). فرد الله -تعالى- عليه بقوله (قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) (15)، فجمع الله له الاستجابتين معاً في قوله (كَلَّا فَادْهَبَا)، لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع برده والمؤازرة بأخيه فأجابه بقوله (فاذهبا) أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هارون، فإن قلت: علام عطف قوله (فاذهبا)؟ قلت: على الفعل الذي يدل عليه (كلا)، كأنه قيل: ارتدع ياموسى عما تظن، فاذهب أنت وهارون (الزمخشري، 2003: 4/ 828).



ف(كلا) هنا ردع للمؤمن الذي هو النبي موسى -عليه السلام- عن ظنه، وأمره بالثقة بالله أي ثق بالله، فإنهم لا يقدرّون على قتلك.

وبعد امتلاء قلب موسى - عليه السلام - باليقين بالله، يردع قومه الخائفين في السورة نفسها بقوله (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا مُدْرِكُونَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا مُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) الشعراء (62) والمعنى (سيهدين). طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم بي (الزمخشري، 2003: 4/ 834). ف(كلا) هنا جاءت جواباً قوياً للسائل الخائف المتردد الشاك، فأنت بمثابة الجواب المؤكد القوي للسائل الذي يعتريه الشك والخوف، لما في هذه الأداة من قوة للردع والزجر.

ومن ردع النبي موسى - عليه السلام - إلى ردع النبي محمد - صل الله عليه وسلم - في قوله (كلا بل تحبون العاجلة) سورة القيامة (20-21).

سبق هذه الآية الكريمة قول الله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (7)، فقد كان الرسول إذا نزل عليهم القرآن يحرك به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تعالى (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (القرطبي، د.ت، ص 20، 19، 60)، فناسب أن يذم كفار قريش بحجمهم للعاجلة. وقال

عباس في معنى (كلا). هنا: المراد أبو جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه، وقيل: أي (كلا) لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة، (بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) أي بل تحبون يا كفار مكة العاجلة، أي الدنيا والحياة فيها وتذرون أي تدعون الآخرة والعمل بها (السابق، 20، 19، 70).

إذن: لم يقف الردع على ردع الكافرين، وإنما تعدى أمره إلى ردع المؤمنين، بل والأنبياء منهم، حينما يستدعي الأمر ذلك.

3- وصايا عامة للردع.

وبعد عرض الدراسة لآيات ردع الكافرين والمؤمنين، ستعرض في هذه النقطة الوصايا التي تناسب الإنسان مؤمناً كان أو كافراً، وهي وصايا ردع، مناسبة لكل زمان ومكان، لكل شخص مسلماً كان أو كافراً، ولا غرو فالقرآن هو المؤدب الأول للإنسان، وهو المدرسة المثالية لكل خلق حسن.

والوصايا التي ردعت الإنسان عامة هي: بقول -تعالى- (كَأَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) سورة الفجر (17).

" كلا ردع للإنسان وهو: أن يكرمهم الكثرة في المال، فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالنفقد" (الزمخشري، 2003: 3/ 4، 1354).



ويردع الله الإنسان حينما ينعم عليه بالكثير من النعم، وهو لا يقدرها كما في قوله (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى) سورة الأعلى (الزمخشري، 2003: 4/3، 1354).

ف (كلا) ردع لمن كفر من جنس الإنسان بنعمه الله تعالى عليه بطغيانه وإن لم ينكر لدلالة الكلام عليه، وذلك لأن مفتتح السورة إلى هذا المقطع يدل على عظيم منته على الإنسان، (الألوسي، 2000، ص 29-30، 561).

وقيل نزلت في أبي جهل بعد زمان، ومع نزولها في أبي جهل، فكذلك المقصود بـ(الإنسان) الجنس (الألوسي، 2000، ص 29-30، 561). هو الظاهر أيضاً، لأن اللام هنا لام الجنس فالجحد ينطبق على بني الإنسان عموماً، فتحقق هنا: عموم اللفظ وخصوص السبب، فالردع هنا للإنسان عامة، فلا ينبغي من الإنسان جحد نعمة الله عليه.

ومن تأديب السور المكية للإنسان بعد ردعه بسبب اليتيم، يردعه أيضاً بسبب التكاثر في الأموال في قوله - تعالى- (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سورة التكاثر (194).

فإنه تعالى يردع من انشغل بالدنيا ونعيمها عن طلب الآخرة، وتماديتهم بذلك حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها (ابن كثير، 1401: 4/47).

وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل حي منهم أكثر سيداً، وأعز نفراً، وأكثرهم عائداً، فكثرت بتوحيه مناف سهماً، ثم تكاثروا بالأموال فكثرتهم سهم، فنزلت (الهاكم التكاثر) بأحيائكم فلم ترضوا (حتى زرتم المقابر) مفتخرين بالأموال (ابن كثير، 1401: 19-20، 168). والتكرار في (كلا) والعطف لتأكيد الردع (الرازي، 1421: 8/508).

وعلى هذا: فاستخدام القرآن الكريم لخصوص السبب، حين تنزل بعض الآيات الرادعة لبعض الناس، لتأديبهم، أو لنهيهم عن بعض الصفات القبيحة، لا يمنع أن يراد به عموم اللفظ، حتى وإن كان السبب خاصاً، لأنها وصايا عامة يطلب من الجميع الالتزام بها، لحثها على مكارم الأخلاق، وسعيها لإصلاح المجتمع، وهذا يعود إلى أن القرآن الكريم هو المعلم الأول لبني الإنسان.

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية لـ(كلا) الرادعة

سيعرض هذا المبحث الخصائص الأسلوبية لآيات الدراسة وهي آيات (كلا) الرادعة، وقد تواجدت هذه الأداة في السور المكية وكما هو معروف لدى الباحثين في أن هناك اختلافات عدة بين الخصائص الأسلوبية للآيات المكية والآيات المدنية، كل بحسب المخاطب، وكما وضحت في بداية هذا البحث، في أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى



حال المخاطب، والمخاطب الذي نزلت عليه الآيات في مكة، هو كافر، مشرك، معاند، مستكبر، كما هو الحال مع كفار قريش، عندما نزل عليهم القرآن الكريم، لذلك اتسمت هذه الآيات بالعديد من الخصائص الأسلوبية، وسيدرس المبحث هذه الخصائص، محللاً أسباب وجودها في آيات الدراسة، وهي على النحو الآتي:

1 – الغالب على المكي قصر الآيات والسور (الفالح، 2012، ص 32).

ولعل هذه النقطة تعلل سبب وجود (كلا) في الأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم، ماعدا موضع سورة الشعراء، وعند استقراء آيات الدراسة نجد أن هذه الخاصية موجودة بكثرة في آيات الدراسة إن لم تكن جميعها قد اشتملت على الآيات القصيرة، وأحياناً القصيرة جداً، وسندلل على هذا بعدة شواهد، وليس عرض كل الشواهد، لأن المغزى هو التدليل على قصر الآيات، وليس على عدد الآيات.

ومن الشواهد القرآنية على هذا قوله – تعالى – (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنِّ الْمَقْرُ، كَلَّا لَا وَزَرَ) القيامة (10).

وقوله (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) النبا (4-5).

وقوله (كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) المطففين (14).

وقوله (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) المطففين (6).

2- التوكيد:

وتكرر وجود الآيات التي احتوت على أساليب التوكيد المتنوعة، وقد تنوعت صور التوكيد بحسب الفكرة المذكورة على الشاك أو المنكر، "فالتوكيد من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً، ينتهي إلى الإيمان بها" (بدوي، د.ت، ص 112، مصلح، 2021، والمقوشي، 2021).

وللتوكيد ب (إن) أو الجملة الاسمية قسمان في آيات الدراسة، وهما:

أولاً: أن يراد أن الفاعل قد فعل ذلك الفعل على وجه الاختصاص به دون غيره، ويذكر على وجه الاستبداد، وهذا كما تقول أنا ضربت فلاناً، وأنا الذي فعلت كذا، ومنه قوله (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) سورة النجم (43)، (العلوي، 2002: 25/2).



فصدر الجملة بالضمير، دلالة على اختصاصه تعالى بالإمانة والإحياء، وإنما أورد الضمير وصير الجملة اسمية تكذيباً وإنكاراً لمن زعم أنه مشارك لله تعالى في هذه الاختصاص (العلوي، 2002: 2 / 25) ومن هذا النوع من التوكيد في آيات الدراسة.

(قُلْ أَزُونِي الَّذِينَ أَحَقُّتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سورة سبأ (27).

والمعنى هنا: لا يعبد أحد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال (قُلْ أَزُونِي الَّذِينَ أَحَقُّتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ وَرَدّاً وإنكاراً لمن زعم أنه مشارك لله تعالى في دراسة الْحَكِيمُ) (القرطبي، د.ت، ص 25-26، 233).

فالجملة الاستثنائية في قوله (بَلْ هُوَ اللَّهُ) أفادت أنه هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم التام الذي عمله موافق له (القرطبي، د.ت، ص 25-26، 233).

ومن الشك في الفاعل، ورد الله عليهم قوله -تعالى- (أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) سورة المعارج (39). والكلام المستأنف في قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ)، وهو كلام مستأنف قد سبق تمهيداً لما بعده من بيان قدرة الله على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث، واستهزائهم برسول الله، وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية (الألوسي، 2000، ص 29-140، 30).

ثانياً: ألا يكون المقصود الاختصاص، وإنما المقصود التحقق، وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب ولا يعتريه شك، وهذا كقولك: هو يعطي الجزيل، وهو الذي يوجد بنفسه، وتمكنه في نفس من تخاطبه (العلوي، 2002: 2/26). ومنه قوله (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) المدثر (15).

فالاستئناف بعد (كلا) في قوله (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا). "جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لتعليل ما قبل كأنه قيل: لم زجر عن طلب المزيد؟ فقيل: إنه كان معانداً لآيات المنعم وهي دلائل توحيده أو الآيات القرآنية حيث قال فيها ما قال " (الألوسي، 2000، ص 29-30، 190).

فأكد الله بالجملة الاستثنائية وحقق تكذيب المنكر المكذب لآيات الله تعالى، فالتوكيد ليس لإثبات الفاعل كما في القسم الأول، وإنما لإثبات شك الفاعل وإنكاره لأمر ما وهو آيات الله وتكذيبها (الألوسي، 2000، ص 29-30).

ومنه قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا بَلْ لَا كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ لِّخَافُونَ الْآخِرَةَ) المدثر (53).

(54)



ف (كلا) ردع لهم عن إعراضهم وإنه أي القرآن أو التذكرة السابقة في قوله (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ) (49) (الألوسي، 2000، ص 29-30، 208).

فالاستئناف في (إنه) والقطع في (بل) لا يخافون الآخرة، كلاهما ردع عن إعراضهم عن القرآن والتذكرة، فالردع والزجر لهم لأنهم لا يخافون الآخرة، فلذلك يعرضون عن التذكر (الألوسي، 2000، ص 29-30، 208). فالتحقق هنا الذي أفادته الجملتان هو شك الذي لا يؤمن بالآخرة، بالقرآن وبالتذكرة.

وتندرج الآيتان تحت هذا القسم في قوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) المطففين (7)، وقوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ) المطففين (8). فالاستئناف بالتوكيد في الآية الأولى أفاد معنى كأنه قيل: "إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ قلت: (سجين) كتاب جامع، وهو ديوان الشر، دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة" (الزمخشري، 2003: 4/1338).

فالتوكيد في (إن) أفاد إثبات أن هناك كتاباً يكتب كل ما يفعله الفجرة والفسقة، فقد حققت (إن) هنا معنى الكتاب الذي يكتب أعمال الفجار، إن كان هناك شك في وجود هذا الكتاب.

ومثله قوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ) (181). (فكلا) ردع التكذيب، وكتاب الأبرار: ما كتب من أعمالهم، وعليون: علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلاح الثقلين (الزمخشري، 2003: 3/1338، 4).

فأفادت (إن) تأكيد وجود الكتاب الذي يكتب أعمال المؤمنين إن كان هناك شك في وجود هذا الكتاب.

3- التكرار:

وتواجدت هذه الخصيصة في الآيات التالية (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) النبا (5)، وقوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) سورة المطففين (17). (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ) المطففين (18). وقوله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) الفجر (21).

وقوله ((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)) التكاثر (3).

والتكرار عامل مهم من عوامل التوكيد، لأن قيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك (بدوي، د.ت، ص 112).

"وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها" (بدوي، د.ت، ص 112).



"كما في قوله (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) فالتكرار هنا للوعيد بعد الوعيد" (القرطبي، د.ت، ص 19-20، 112). وقد يكون التوكيد لقصد الترغيب (بدوي، د.ت، ص 115).

كما قوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عَلَيَيْنِ) سورة المطففين (18) وقد يكون لقصد التهيب كما في قوله في السورة نفسها (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينِ) (7).

تدخل إن في الكلام، ففضلاً عن تأكيدها لمعنى الجملة، تربط ما بعدها بما قبلها (بدوي، د.ت، ص 114) وفي ذلك يقول عبدالقاهر الجرجاني:

"هل شئ أبين في الفائدة، وأدل على أن ليس سواء دخولها ألا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه، وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهم قد سبك في الآخر، هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى إن فأسقطتها، رأيت الثاني مبهماً قد نبا عن الأول، وتجافى عن معناه، ورأيت لا يتصل به، ولا يكون منه بسبيل حتى تجئ بالفاء، ثم لا ترى الفاء تعيد الجملتين إلى ما كانت عليه من الألفة، وترد عليك الذي كنت تجد بأن من المعنى وهذا الضرب كثير في التنزيل جداً" (الجرجاني، 1989، ص 243).

وللتوكيد أساليب كثيرة في القرآن، ومنها التوكيد اللفظي بأن يكون السابق لفظة، اسماً كان أو فعلاً، أو اسم فعل، أو حرفاً، أو جملة (بدوي، د.ت، ص 114) كما في قوله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) الفجر (21). ففي قوله (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلاً للردع، وتكريره للدلالة على الاستيعاب، فليس الثاني تأكيداً للأول، بل ذلك نظير الحال في قولك: جاؤوا رجلاً رجلاً، وعلمته الحساب باباً باباً، أي إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً حتى انكسرو ذهب كل ما على وجهها من جبال وقصور وأبنية وغيرها، حتى زلزلت المرة بعد المرة وصارت هباء منثوراً (الألوسي، 2000، ص 29-30، 479). وهكذا: تنوعت صور التكرار في آيات الدراسة، منها ما كان تكراراً بإعادة اللفظ نفسه، ومنها التكرار بجمل استئنافية مبدؤة بإن المؤكدة، ومنها ما كان بعطف الجمل لزيادة الوعيد والتهيب أو الترغيب.

4- القسم: وتواجدت هذه الخاصية في قوله (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) العلق (14)، وقوله (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) سورة الهجرة (3).

فالقسم هو: تحقيق الخبر بتوكيده (السيوطي، 1997: 48/4).

"والقرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً" (السيوطي، 1997: 48/4).



إذن: القرآن نزل وفق طرائق العرب في التعبير، والآيات المكية، تخاطب قومًا كافرين كمشركي قريش، لذا، يكثّر القسم في الآيات المكية.

والقسم إما ظاهر وإما مضمّر (السيوطي، 1997: 50/4).

والمضمّر قسمان: قسم دلت عليه اللام، وقسم دل عليه المعنى (السيوطي، 1997: 50/4).

والآيات التي توافرت فيها خاصية القسم، كانت من القسم المضمّر والذي دلت عليه لام القسم.

والله - تعالى - يقسم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها تارة، وتارة يقسم على التوحيد، (السيوطي، 1997: 11-12، 100) ثارة يقسم على القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعيد، وتارة يقسم على حال الإنسان، وهذه كلها موضوعات السورة المكية، جاءت متظافرة مع أسلوب من أساليب السور المكية، ألا وهو القسم، فالوعيد في القسم تمثل في قوله (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) العلق (15) أي "كلا ردع للناهي واللام في قوله (لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ) موطنه للقسم أي: والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعاً بالناصية أي لناخذن بناصيته ولنسخطه بها لإلي النار يوم القيامة" (الألوسي، 2000، ص 29-30، 568)

واللام موطنه للقسم في قوله (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ) في الحطمة (الهمزة 4)، ففي قوله (لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ) جواب قسم مقدر، والجملة استئناف مبين لعللة الردع، أي: والله ليطرحن بسبب أفعاله في الحطمة أي: في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقي فيها (الألوسي، 2000، ص 29-30، 639). والقسم هنا أيضاً للوعيد والتهديد. إذن: موضوع القسم هنا للوعيد، وللوعيد، وعند إمعان النظر فيه يُلاحظ أنها من موضوعات السور المكية التي قررها علماء القرآن، فأتى القسم مقررًا ومؤكّدًا لأحوال هذه الموضوعات.

5- الإكثار من ضرب الأمثلة والتشبيه (الفالح، 2012، ص 33) من الواقع المعاش.

وضرب الأمثلة من واقع المكذب المعاش، أدعى للتصديق، وأقوى لإبطال صحته المزيفة، وقد تواجدت هذه الخاصية في آيات الدراسة، باعتبارها آيات مكية، بل وتحتوي على أداة من أدوات الردع القوية لكل مكذب معاند. ألا وهي (كلا).

ومن الآيات التي اشتملت على ضرب الأمثلة من الواقع المعاش، قوله -تعالى- (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى) سورة المعارج (11) ف (كلا) ردع للمجرم وتصريح بامتناع الإنجاء وضمير (إنها) للنار المدلول عليها بذكر العذاب، و (لأظلى) علم لجهنم



أو للدركة الثانية من دركاتها، منقول من اللطلي بمعنى: اللهب الخالص (الألوسي، 2000، ص 29-30، 96)، والوعيد من الله للكفار بالنار والتي أسماها ب (اللطلي)؛ لأنهم يعهدون ويعرفون النار ولهيها، فهم يستعملونها في كافة أعمالهم للطبخ والتسخين، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها عن طريق النار.

ومنه قوله -تعالى- (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ) (الهمزة (5)).

(كلا) ردع له عن ذلك الحساب الباطل، وعن جمع المال وحبه المفرط، وقيل: إنه ردع عن الهمز واللمز، وقيل: إنه الردع عن كل ما تضمنته الآيات السابقة من الصفات القبيحة (الألوسي، 2000، ص 29-30، 639).

إذن: كل ما سبق كان ردعاً ب (كلا) لأهل مكة الذي عرف عنهم الهمز واللمز في الكلام، والتفاخر بالأموال وغيرها من الصفات التي كانت شائعة في ذلك العصر، فالخطاب المكي يحتوي إذن على الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة، والقيم النبيلة. و(الخطمة) هي النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقي فيها.

ويقال: رجل حطمة أي: أكل تشبهاً له بالنار، ولذا قيل في أكل كأنما في جوفه تنور. إذن: خوفهم الله بسبب صفاتهم الجاهلية القبيحة باسم من أسماء النار، مألوف معروف عندهم، ليرتدعوا أكثر علاوة على ردعهم ب (كلا) في بداية الآية، وهذه خاصية من خصائص الخطاب المكي الذي خاطب به الله - تعالى - كفار قريش.

ومن ردع مشركي قريش بمسميات يألّفونها قوله - تعالى - (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق (15)).

ف (كلا) ردع وزجر له (الألوسي، 2000، ص 29-30، 639).

" قال مؤرج السفع: الأخذ بلغة قريش، والناصية شعر الجبهة، وتطلق على مكان الشعر" (الألوسي، 2000، ص 29-30، 569).

وخصصت الناصية بالذكر لأن أبا جهل كان شديد الاهتمام بتطبيخها، أو لأن السفع بها غاية الإذلال عند العرب إذ لا يكون إلا مع مزيد التمكن والاستيلاء، لأن عاداتهم ذلك في البهائم (الألوسي، 2000، ص 29-30، 569).

وعلى هذا يمكن القول: إن القرآن المكي الذي نزل بمكة خاطب أهلها وردعهم عن أفعالهم المشينة بأسماء يألّفونها ويعرفونها، لزيادة الردع والزجر والتخويف.

وعلى هذا نستطيع ختم هذا المبحث وهو الخصائص الأسلوبية ل (كلا) الرادعة في السور المكية بقولنا: لوعدنا إلى هاتيك السور نفسها فقرأناها واحدة واحدة أدركنا أن آياتها قصيرة، وأنها شديدة الإيجاز، وأن القسم فيها بمشاهد الكون كثير، وأن ألفاظها رشيقة منتقاه يسري التنغيم في أحرفها المهموسة تارة، والمجهورة تارة



أخرى، وأن تجسيم المعنويات وتشخيص الجوامد وخلع الحركة والحياة والحوار على الأشياء الصامته قد أحالت مشاهدتها إلى لوحات غنية بالأصباغ الحية (الصالح، د.ت، ص 195).

الخاتمة

بعد البحث والدراسة في موضوع الخصائص الموضوعية والأسلوبية ل (كلا) الرادعة في السور المكية توصلت الدراسة للنتائج الآتية:

- لم تقف معاني (كلا) على الردع والزجر فحسب، وإنما رصدت الدراسة معاني أخرى ل (كلا) مع الردع والزجر وسلطت الضوء عليها.
- لم يقتصر الردع والزجر ب (كلا) على كفار قريش، وإنما وصل الأمر إلى ردع النبي محمد - صل الله عليه وسلم- والأنبياء والمؤمنين في بعض مواضع السور المكية عند تقصير أي أحد منهم في بعض نواحي حياتهم.
- انطبقت الخصائص الموضوعية التي حددها علماء القرآن تماماً على آيات الردع والزجر في الأداة الأنموذج، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن هذه الخصائص قطعية كما ذكر العلماء ذلك.
- تميزت آيات الدراسة بالقصر والإيجاز، وهذا مناسب لقوم تكفهم اللمحة والإشارة، فهم أهل بلاغة، وهنا مناسبة الكلام لمقتضى الحال.
- ألقت الدراسة الضوء على أسباب نزول بعض الآيات القرآنية، وهي خاصة بكفار قريش، وهذا يدل على أن الخطاب المكي نزل لهم وبهم.
- تعددت مسميات الأشياء في أكثر من موضع، وهذا راجع إلى أن اختيار الأسماء بحسب البيئة المعاشة من المجتمع المكي، وهذه خاصية من خصائص الخطاب المكي.
- تكرر القسم والتكرار في آيات الردع والزجر، وناسب كثرة وجودهما، حال القوم المعاندين المستكبرين، وهم كفار قريش.

وبعد: فإن مثل هذه الدراسات من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنها تطبق التطبيق العملي وفق الشواهد القرآنية على مانظره العلماء من خصائص أو مميزات لبعض التواحي القرآنية، فهذه الدراسة على سبيل المثال طبقت خصائص السور المكية التي حددها علماء القرآن الكريم على الأداة الأنموذج - كلا - وفي السور المكية أيضاً، وخرجت بالنتائج المذكورة سابقاً، وأكدت بالتطبيق العملي صحة هذه الخصائص.



المراجع

- الألوسي، شهاب الدين السيد محمد، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تح / عبد السلام هارون، مطبعة البابلي، مصر، (د.ت).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تح / محمود شاكر، ط2 - مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.
- الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).
- الزمخشري، جار الله محمد، الكشاف، تح / عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، 2003م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم (د.ت).
- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.
- الفالح، محمد، المكي والمدني، دار التدمرية، الرياض، 2012م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، (د.ت).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، (د.ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.
- بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
- عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، مطبعة المصباح، دمشق، 1933م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، 1996م.
- مصلح، مجاهد، ضَمِيرُ الْفَصْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - دراسة نحوية دلالية. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 1(7)، 2021، 98-137. <https://doi.org/10.53286/arts.v1i7.271>
- المقوشي، عمر، توكيد الفعل المضارع بالنون. الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 1(11)، 2021، 123-158. <https://doi.org/10.53286/arts.v1i11.577>



References

- Al-Alusi, Shihab al-Din al-Sayyid Muhammad. (2000). *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-Karim wa-al-Sab' al-Mathani* [The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Oft-Repeated Verses]. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut.
- Al-Jahiz, 'Amr ibn Bahr. (n.d.). *Al-Hayawan* [The Book of Animals] ('Abd al-Salam Harun, Ed.). Matba'at al-Babi al-Halabi, Egypt.
- Al-Jurjani, 'Abd al-Qahir ibn 'Abd al-Rahman. (1989). *Dalā'il al-I'jāz* [Proofs of the Inimitability] (Mahmoud Shakir, Ed., 2nd ed.). Maktabat al-Khanji, Cairo.
- Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad. (2000/1421 AH). *Al-Tafsir al-Kabir wa-Mafatih al-Ghayb* [The Great Commentary and the Keys to the Unseen]. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut.
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad. (n.d.). *Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an* [The Proof in the Sciences of the Qur'an] (Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Ed.). Maktabat Dar al-Turath, Cairo.
- Al-Zamakhshari, Jar Allah Muhammad. (2003). *Al-Kashshaf* [The Revealer] ('Abd al-Razzaq al-Mahdi, Ed.). Dar Ihya' al-Turath, Beirut.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din 'Abd al-Rahman. (1997). *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an* [The Perfect Guide to the Sciences of the Qur'an] (Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Ed.). Al-Maktabah al-'Asriyyah, Beirut.
- Al-Salih, Subhi. (n.d.). *Mabahith fi 'Ulum al-Qur'an* [Studies in the Sciences of the Qur'an]. Dar al-'Ilm.
- Al-'Alawi, Yahya ibn Hamzah. (2002). *Al-Tiraz al-Mutadhammin li-Asrar al-Balaghah wa-'Ulum Haqa'iq al-I'jaz* [The Ornament Incorporating the Secrets of Eloquence and the Sciences of the Realities of Inimitability]. Al-Maktabah al-'Asriyyah, Beirut.
- Al-Falih, Muhammad. (2012). *Al-Makki wa-al-Madani* [The Makkan and the Madinan]. Dar al-Tadmuriyyah, Riyadh.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (n.d.). *Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an* [The Compendium of Qur'anic Rulings]. Dar al-Sha'b, Cairo.
- Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir. (n.d.). *Al-Tahrir wa-al-Tanwir* [The Verification and the Enlightenment]. Dar Sahnoun, Tunis.
- Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar. (1401 AH). *Tafsir al-Qur'an al-'Azim* [The Great Commentary of the Qur'an]. Dar al-Fikr, Beirut.
- Badawi, Ahmad. (n.d.). *Min Balaghat al-Qur'an* [On the Eloquence of the Qur'an]. Dar Nahdat Misr, Cairo.
- 'Itr, Nur al-Din. (1933). *'Ulum al-Qur'an al-Karim* [The Sciences of the Noble Qur'an]. Matba'at al-Misbah, Damascus.
- Al-Zurqani, Muhammad 'Abd al-'Azim. (1996). *Manahil al-'Irfan fi 'Ulum al-Qur'an* [The Sources of Understanding in the Sciences of the Qur'an]. Dar al-Fikr.
- Musleh, M. M. . (2021). The Separation Pronoun in the Holy Qur'an: A Grammatical Semantic Study. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, 1(7), 98–137. <https://doi.org/10.53286/arts.v1i7.271>
- Al-Maqushi, O. B. A. . (2021). Present Tense Verb Affirmation with Nūn. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, 1(11), 123–158. <https://doi.org/10.53286/arts.v1i11.577>